

الطفل في الإسلام

أ. عبد القادر عثماني*

ورد في القرآن الكريم أن الله تعالى يقسم كثيرا بمخلوقاته العظيمة العجيبة في خلقها وفي شأنها وفي الحكمة التي أودعها فيها خالقها، كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا¹﴾، ﴿وَالْيَتِيمَ الْمَعْمُورَ وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ²﴾ (المشتعل)، ﴿وَالنَّجْمَ إِذَا هَوَى³﴾، ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا تَنَفَّسَ⁴﴾ والذاريات، والمرسلات، والنازعات، والساجدات، والقرآن المجيد، والقرآن الحكيم، والقرآن ذي الذكر ... إلى غير ذلك. ومما أقسم الله به ليدل على أنه شيء عظيم، أقسم بالوالد والمولود (الطفل) فقال: ﴿وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ⁵﴾، ولا معنى للقسم إلا شرف المقسم به، وشرفه يقتضي البحث عنه من حيث دلالاته على الحكمة البالغة من أطوار الوجود وهو طور التوالد وما يعانیه كل من الوالد والمولود من المكابدة والعناء في سبيل حفظ النوع البشري الذي كرمه الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ⁶﴾

والله تعالى لما أقسم بالوالد والمولود، هل أقسم لنصده؟ كلا، إنما أقسم ليحثنا على فهم النشء وإعطاء الناشئ حقوقه وإبلاغه ما ينبغي له من النمو والكمال وما يلزم لذلك من الوسائل المادية والمعنوية وكلمة طفل جاءت من الفعل طفل يطفل طفولة ومعناه نعم ينعم نعومة ولأن ملمسه. فالنعومة واللين من صفات الطفولة وجاء ذكر الطفل والأطفال في القرآن

* عضو المجلس الإسلامي الأعلى وشيخ الزاوية الرحمانية بطولقة (بسكرة).

1. سورة الشمس، الآية 1 - 5. 2. سورة الطور، الآية 4-5-6. 3. سورة النجم، الآية 1. 4. سورة التكويد، الآية 18. 5. سورة البلد، الآية 3-4-6. 6. سورة الإسراء الآية 70.

أربع مرات وكلمة الذرية اثنتين وثلاثين مرة وكلمة البنين والبنات اثنتين وتسعين مرة وكلمة ولد وأولاد وليد وولدان خمسا وستين مرة وكلمة صبي مرتين وكلمة غلام اثني عشرة مرة، أما كلمة يتيم ويتامى الدالة على الطفل فاقد الأب فقد جاءت في كلام الله اثنتين وعشرين مرة يحث فيها الحق تعالى على العناية به ويحض على إكرامه والإحسان إليه ويأمر بحفظ ماله إلى غير ذلك مما سيأتي إن شاء الله وسأحدث في كلمتي هذه عن حقوق الطفل في الإسلام وما جاء في كلام الله وفي حديث رسوله صلى الله عليه وسلم من توصيات وأحكام وتوجيهات تتعلق بحفظ نسبه وحضانه ورضاعته والعناية به والرفق به وحسن معاملته وحتى مشورته وكونه نعمة وبشرى وهبة من الله، زينة ونافعا لوالديه بشفاعته لهما عند الله يوم القيامة إن مات صبيا كما ينفعهما بدعائه إن كبر صالحا تقيا.

ولنبداً بالطفل يتيما لعظم أهميته في الإسلام. نجد في القرآن المجيد آية من سورة قصيرة ذات سبع آيات تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلا كاملا إنها سورة الماعون: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ¹﴾ أي أعرفت الذي يكذب الدين فذلك الذي يدع اليتيم أي يدفعه ويؤذيه. افتتح السورة بهذا الاستفهام لمن تتأتى منه الرؤية والمعرفة ليعرف من هو الذي يكذب بالدين وإذا الجواب يأتي قاسيا على من قسا قلبه على يتيمه. إن الذي يكذب بالدين هو الذي يدع اليتيم. إنها مفاجأة صارخة القياس إلى تعريف الإيمان التقليدي ولكن هذا هو حقيقة الأمر. فلو استقرت حقيقة الدين في قلب من يدع اليتيم ما كان ليدعه أو يهينه أو يذله. إن المصدق بالدين وليس من يكذب به هو الذي يسدي الخير والبر والمعروف لمن يحتاجون إلى الرعاية والحماية وأولهم الأطفال ولا سيما اليتامى منهم. فما أبلغ هذا القرآن الإلهي الذي جعل إهانة اليتيم أول علامات التكذيب بدين الله. ومن هنا نعلم أن دين الإسلام لا تغني فيه مظاهر

1. سورة الماعون، الآية 1-2. 01. 02. 03. 04. 05. 06. 07. 08. 09. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

العبادات والشعائر ما لم يكن يدفع صاحبه إلى عمل صالح تصلح به حياة الناس وترقى وتمثل فيه رحمة الله بالعباد. وعناية الله بالطفل اليتيم في القرآن عظيمة، ذكره جل علاه اثنتين وعشرين مرة كما سبق ذكره فهو ينهى عن إذايته فيقول: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ¹﴾ ويحض على إكرامه فيقول: ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ²﴾ ويأمر بالإحسان إليه فيقول: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ³﴾ ويشيد بمن يحسن إليه فيقول: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا⁴﴾ وأشركه الله تعالى في الغنائم فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ⁵﴾ وأشركهم في الفيء فقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ⁶﴾ وأمر بإصلاح شأنهم فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ⁷﴾ أي القيام عليهم لإصلاحهم بالتربية والتهديب والتعليم وإصلاح أموالهم بالتنمية والتمهير هو خير لما في ذلك من حسن القدوة في الدنيا وحسن المثوبة في الآخرة، ويهدد الله جل شأنه بالوعيد الشديد من يأكل مال الطفل اليتيم ظلماً واعتداءً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا⁸﴾ وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ⁹﴾ وقال: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا¹⁰﴾ أي ظلماً كبيراً وإثماً عظيماً. وآيات أخرى كثيرة وأحاديث نبوية أكثر تحت على الإحسان إلى الأيتام والترغيب في العناية بهم والاهتمام بشؤونهم، هذا بعض ما يتعلق بالطفل اليتيم.

1. سورة الضحى، الآية 9 - 2. سورة الفجر، الآية 17 - 3. سورة النساء، الآية 36 - 4. سورة الإنسان، الآية 8 - 5. سورة الأنفال، الآية 41 - 6. سورة الحشر، الآية 7 - 7. سورة البقرة، الآية 220 - 8. سورة النساء، الآية 10 - 9. سورة الأنعام، الآية 152 - 10. سورة النساء، الآية 2.

وفيما يتعلق بالطفل عموماً في رضاعته وحضانه والإنفاق عليه وعلى من ترضعه أم أو غيرها نجد في القرآن المجيد أحكاماً حكيمة مفصلة تضمن للطفل حقه وأفيا كما تضمن حق من يقوم بحضانه وتربيته قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ¹﴾ وقال في المطلقة التي لها طفل: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فِستَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى²﴾، هذا تشريع إلهي مفصل يضمن للطفل رضاعاً كاملاً من أمه ولو مطلقة، يفرضه الله عليها ولا يتركها لفرقتها وعاطفتها التي تفسدها الخلافات الزوجية فيقع الغرم على هذا الطفل الرضيع.

فإن الله تعالى يفرض على الأم أن ترضع طفلها حولين كاملين لأنه سبحانه يعلم أن هذه المدة هي المثلى من الوجهة الصحية والنفسية فقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ³﴾ أي فإذا كانت الرضاعة دون الحولين فهي غير تامة، وتثبت البحوث الصحية والنفسية الحديثة أن فترة عامين ضرورية لنمو الطفل نمواً سليماً، صحياً ونفسياً، وإذا كانت الأم مطلقة فكذاك فرض الله عليها إرضاع الطفل ولها حق في أخذ الأجرة من أب الطفل مع أن الرضاعة واجبة عليها قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ⁴﴾ فالأب والأم كلاهما مسؤولان عن هذا الصغير الرضيع. فالطفل له حق الإرضاع وحق الحنان أيضاً، إن التشريع السماوي لم يضمن للطفل حق القوت والحضانه والرعاية فحسب بل ضمن له حنان أمه حناناً

1. سورة البقرة، الآية 233. - 2. سورة الطلاق، الآية 6. - 3. سورة البقرة، الآية 233. - 4. سورة الطلاق، الآية 6.

يسعد به وينعم وينمو جسميا ونفسيا، فقد جعل الله الرضاعة حقا للأم وللطفل معا، فالأم لها حق في إرضاع ولدها وحضانه لا يمنعها أبوه، سواء أكانت الرضاعة طبيعية أم صناعية، قال تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ¹﴾ المولود له هو الأب.

وورد في الحديث الصحيح أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت إن ابني هذا كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني. فقال لها عليه الصلاة والسلام: "أنت أحق به ما لم تتزوجي". وقال صلى الله عليه وسلم: "من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة" رواه الإمامان الترمذي وأحمد. قال العلماء: ولو كان الولد من زنا لا يفرق بينه وبين أمه.

ولما طلق عمر بن الخطاب امرأته أم عاصم أراد أن ينتزعه منها وهو في حجرها فتجاذباه بينهما حتى بكى الطفل، فانطلق عمر إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: مُسُحُ أمه (كساء من جلد) وحجرها خير له منك حتى يشب فيختار لنفسه. فالطفل له حق في الرضاعة من أمه وفي حضانتها إياه إلى أن يبلغ أشده سالما، والبنت تستمر حضانتها عند أمها أو من يقوم مقامها إلى أن تتزوج البنت المحضونة ويدخل بها زوجها.

وقد خصت الشريعة الإسلامية الحضانة بالإناث لأنهن أشفق وأرفق وأهدى إلى التربية وأصبر على القيام بها وأشد ملازمة للطفل وذلك ليأخذ الطفل حقه كاملا من العناية والرعاية والشفقة والعطف والحنان.

وفرض الإسلام في المرأة الحضانة السلامة واليقظة والصبر والخلق الحميد، وإلا فلا حق لها في الحضانة، فلا حضانة لغير أمينة على تربية الطفل وتقويم أخلاقه. وللحواضن في استحقاق الحضانة درجات لا نطيل بذكرها غير أنها كلها ترجع لمصلحة الطفل المحضون.

1. سورة البقرة، الآية 233.

النسب: حق الطفل في حفظ نسبه

ومن حقوق الطفل في الإسلام صيانة نسبه، قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ¹﴾ ويذكر علماء الإسلام أن علة تحريم الزنا بالإضافة إلى انتهاك الحرمات والمضار العديدة المهلكة ومنها مرض السيدا ومفاسد أخرى، علة التحريم هذه هي كذلك للحفاظ على الأنساب من عدم اختلاطها حتى يعرف كل طفل بأبيه، كذلك أوجب الله العدة على المطلقة أو المتوفى عنها زوجها وحرم الزواج منهما إلا بعد استكمال عدتهما، كل هذا للتأكد من براءة رحمهما حتى لا تختلط الأنساب.

وحق الطفل في حفظ نسبه فرضه الله له قبل أن يخلق في المسألتين المتقدمتين هما حرمة الزنا وحرمة الزواج بالمعتدة، فالنسب عند الله شيء مقدس، فبالنسب يعرف الشخص وبالنسب يتأكد حق القرابة والرحم، إذ كل صاحب حق يتأكد حقه على قدر رابطة، وأقوى الروابط وأخص الأرحام وأمسها: الولادة، فيتضاعف تأكيد الحق فيها لأن بناء الأسرة بناء صحيحا وسليما وقويا لا يتم إلا بثبوت نسب الأولاد من آبائهم، فالأبوة أصل للنبوة، ولكل شيء أصل، وأصل الإنسان نسبه، وبه يعرف وبه يعتز، وقد اعتز النبي صلى الله عليه وسلم بانتسابه إلى جده وهو مشرك فقال: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب".

ولكي يعتز الإنسان بنسبه يكون من المفروض أنه معتر بعفة أبويه، فأبوه هو أبوه حقا وأمه لم يقربها غير أبيه، وهما عفيفان، وبهذا تصبح عفة الأبوين حقا ضمنيا ومن حقوق الطفل قبل أن يخلق، وهذا لم يأت به أي تشريع إلا شريعة الله.

1. سورة الأحزاب، الآية 5.

ومنع الإسلام الآباء من إنكار نسب أولادهم وحرّم على النساء نسبة ولد إلى غير أبيه الحق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم أي أتت بولد زنا فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله تعالى منه وفضحته على رؤوس الأولين والآخرين يوم القيام". ومنع الإسلام أيضا الأبناء من انتسابهم إلى غير آبائهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام". وقال: "من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله المتابعة إلى يوم القيامة".

إن هذه التحذيرات الشديدة من عقاب الله جاءت لتحفظ للطفل في الإسلام حقه في ثبوت نسبه وصيانتة من كل شبهة وريبة ودخل. وهذه التشديدات متمشية مع عناية الإسلام بتنظيم الأسرة على الأساس الطبيعي لها الذي هو الدم والجينات وما لذلك من خصائص.

وحرمت الشريعة التبني وأبطلته بعد أن كان معمولا به في الجاهلية وصدر الإسلام، وقد تبني النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة قبل النبوة وكان يدعى زيد بن محمد إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ¹﴾. فمن العدل ومن حق الطفل أن ينسب إلى أبيه الحقيقي لا المزور، فالتبني تدليس وتزوير، وقد صان الله الولد من ذلك إكراما له. وقانون الأسرة الجزائري منع التبني بعد أن كان معمولا به، والحمد لله. ومن جهل أبوه دُعي أخا في الدين منعاً من تغيير الحقائق وحفاظاً للأنساب، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ²﴾.

1. سورة الأحزاب، الآية 4-5. - 2. سورة الأحزاب، الآية 5.

هذا هو حكم القرآن، حكم الحق والعدل، لكن الإسلام لم يمنع كفالة طفل لقيط يأتي به شخص من مستشفى كما هو الحال أو غير ذلك، فيقوم بربيته وتعليمه ثم يحجب عن الأسرة بعد البلوغ أو قبله بقليل إن لم ترضعه زوجة الكفيل. وكفالة الطفل للقيط أعظم أجرا من كفالة اليتيم، لأن اليتيم ما فقد إلا أباه، أما اللقيط فمجرد من كل علاقة نسب أو رحم، فحقه في العناية به أكد.

ومن حقوق الطفل في الإسلام أن يختار الأب زوجة صالحة لتكون لطفله، قال صلى الله عليه وسلم: "اختاروا لنطفكم"، هذا الحق قرره الإسلام للطفل قبل أن يتزوج أبوه بأمه. فيا لها من عناية بحقوق طفل الإسلام ومن حقوق الطفل في الإسلام الإنفاق عليه، على مأكله وملبسه وفراشه ولعبه وصيانة صحته وتعلمه دينيا وخلقيا وثقافيا ومهنيا، وإخراج زكاة الفطر عنه وختانه ومعالجة مرضه والترفيه عنه وتحسين اسمه والعقيقة عليه يوم سابع ولادته قال صلى الله عليه وسلم: "من حق الولد على والده أن يحسن أدبه ويحسن اسمه" وقال: "كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه".

ومن حقوق الطفل في الإسلام الرفق به والعطف عليه. روى البخاري أن الأقرع بن حابس رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقبل حفيده الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم. فقال عليه الصلاة والسلام: "من لا يرحم لا يرحم". وعيد شديد. ومن حقوق الطفل في الإسلام أن يبدأ به في إعطائه باكورة الثمار. روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بأول الثمرة فيقول: "اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة" ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان. وفعله صلى الله عليه وسلم تشريع لأئمة.

هذا بيان ما كان يتصف به عليه الصلاة والسلام من كمال الشفقة والرحمة وملاطفة الصغار، يخص الطفل من بين الحاضرين بباكورة الثمرة لكونه أرغب فيها وأكثر تطلعا إليها وحرصا عليها.

ومن حق الطفل في الإسلام إفشاء السلام عليه، روى مسلم عن أنس بن مالك قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على غلمان فسلم عليهم"، وقال أنس في حديث آخر: "انتهى إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام في الغلمان فسلم علينا"، روى البخاري بسنده عن ابن عامر قال: "رأيت عبد الله بن عمر بن الخطاب يسلم على الصبيان في الكتاب" وقال أسامة بن زيد: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الآخر ثم يضمنا ويقول: "وضع صلى الله عليه وسلم صبيا في حجره فبال عليه فدعا بماء فأتبعه". وجاء أنه عليه الصلاة والسلام كان يلاعب زينب بنت أم سلمة "ربيبته" ويقول لها: "يا زوينب يا زوينب". وهكذا تتجلى رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وعطفه وحنانه على الصبيان حتى إنه كان يحملهم وهو في الصلاة. فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فبعد أن سلم من صلاته قال: "إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته". قال العلماء كان غرض الرسول صلى الله عليه وسلم من عمله هذا لينال مزيدا من الأجر على رفقه بالولد وليعلم أمته الرفق بالأطفال ومعاملتهم. وكون ذلك في حالة سجود فيكون الأجر أعظم. فإن أقرب ما يكون العبد من ربه إذا كان ساجدا له.

وقالت عائشة رضي الله عنها: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اغسلي وجه أسامة، فجعلت أغسله وأنا أنفة" أي كارهة ومترفعة، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله. وتعثر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره، فترل فحمله وقرأ:

فإذا بلغ ست سنين أدب، فإذا بلغ سبع سنين أمر بالصلاة، فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه، فإذا بلغ عشر سنين ضرب على الصلاة، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنك في الدنيا وعذابك في الآخرة" أي أن الأب إذا لم يعامل ابنه كما ورد في الحديث فإنه يكون له فتنة في الدنيا ويعذب في الآخرة بسبب إهماله إياه، فشأن الطفل عظيم عند الله.

ومن حقوق الطفل في الإسلام أن يدعو له أبوه بالصلاح والخير والرزق والتوفيق لإقامة شعائر الدين كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ ودعاء إبراهيم ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ¹﴾ وقال إبراهيم: ﴿رَب اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي²﴾. وقال هو معه ابنه إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ³﴾ وأثنى الله تعالى على عباد له دعوه لأولادهم، قال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ⁴﴾ وقال تعالى حكاية عن زكرياء عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا⁵﴾.

ومما أكرم الله به الطفل المسلم أنه يشفع لوالديه يوم القيامة إن مات قبلهما صبيًا ويكون سببًا لدخولهما الجنة. وقال صلى الله عليه وسلم: "صغارهم دعاميص أهل الجنة يتلقى أحدهم أباه فيأخذ بيده فلا ينتهي حتى يدخله الله وإياه الجنة" وقال صلى الله عليه وسلم لرجل مات ابنه صغيراً: "ما يسرّك أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك". والابن ينفع والديه بعد موتهم بدعائه إن كان صالحاً تقياً كما ورد ذلك في حديث: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث منها ولد صالح يدعو له..."

1. سورة إبراهيم، الآية 37. 2. سورة إبراهيم، الآية 40. 3. سورة البقرة، الآية 128. 4. سورة الفرقان، الآية 74. 5. سورة مريم، الآية 5، 6. 6. سورة البقرة، الآية 128. 7. سورة البقرة، الآية 128.

كما أن الوالدين يكسبان أجرا عظيما بصلاة طفلهما وصيامه وحجه وتعلمه القرآن الكريم، وجاءت في ذلك أحاديث كثيرة. وقد أحلّ الله للأطفال ولا سيما البنات ما حرّمه على الكبار، فقد أباح لهنّ الدمى للعب والتربية رغم تحريم التماثيل والصور المجسمة. وعلى ذكر لعب الأطفال أشير إلى وجوب صناعة إسلامية للعب الأطفال تستلهم قيما التربوية وتراثنا التاريخي تربط الطفل بهويته ودينه وتاريخه إلى جانب ارتباطه بعصر العلم الذي نعيش فيه "هذه ملاحظة". ومما أكرم الله به الأطفال، أنه جعلهم هبة منه ونعمة ومنّة يمنّ بها على عباده ليشكروه، كما جعلهم بشرى وزينة، لكونهم هبة قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ¹﴾ وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا²﴾.

والولد بشرى، فقد بشر الله تعالى امرأة إبراهيم بميلاد ابنها إسحاق وحفيدها يعقوب، فقال جلّ علاه: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ³﴾ وقال عن إبراهيم أيضا: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، وبشر تعالى زكرياء بميلاد ابنه يحيى، عليهما السلام، قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى⁴﴾.

والولد منّة من الله تعالى، يمنّ بها على من يرزقهم أولادا ليشكروه على ما رزقهم، قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ⁵﴾ وقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ⁶﴾ وقال: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا⁷﴾ والأولاد زينة، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا⁸﴾ فالطفل في الإسلام هبة من الله تعالى ونعمة وبشرى وزينة، ومن حقّ البشري والهبة والزينة أن تكرم ولا تهمل أو تهان.

1. الشورى، الآية 49-50. 2. سورة مريم، الآية 49-3. سورة هود، الآية 71-4. سورة مريم، الآية 7-5. سورة النحل، الآية 72-6. سورة الإسراء، الآية 6-7. سورة المدثر، الآية

هذا هو طفل الإسلام.

أما طفل الجزائر فإننا نفرح بمولده وتزف البشائر وتقدم التهاني والهدايا وتتناقل الأخبار نبأ مولده وحتى في الصحف، وفي الوقت نفسه نهمل الكبار إهمالاً. نتج عن هذا الإهمال جفاء وفجوة باعدت بين الآباء وبنيتهم في السيرة والتفكير والنظرة للحياة، وأصبح الابن مصدر خوف لوالديه، فهما إما يخافان منه أو يخافان عليه، وكلاهما (الأب والابن) يحس بغربة في داره، فحرم الابن من الحنان وحرّم الأب من البرور، فتسبب هذا في انحلال وتفكك أسري، فلا الأب أب ولا الابن ابن، هذا هو الغالب عندنا، والله المستعان.